

291833 - شبهة حول حقيقة السحر .

السؤال

هناك من يزعم بأن السحر هو مجرد خفة يد ، وأن كل آيات السحر في القرآن يمكن أن تفسرها تفسيرا آخر ، ولن أطرق لتفسيراته والردود عليها ، لكن عندي سؤال منطقي إذا كان للساحر قدرة على التحكم بالجن ، لماذا لم يحكم السحرة العالم بهذه القدرة الخارقة على إرسال الجن ، لكي يتلبسو الناس ؟ لماذا لا يتحكمون برئيس دولة مثلا ، أو رئيس بنك ، ويصبحون أغنياء ... إلخ ، أتمنى أن وصلت الفكرة ، أم أن للسحر قدرة محدودة بسيطة ؟ وما الدليل على ذلك ؟

الإجابة المفصلة

أولاً :

السحر له حقيقة ، ويؤثر إذا شاء الله وقوع تأثيره ، كما في قوله تعالى : **{وَاتَّبَعُوا مَا تَشَوَّلُ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسُ السُّحْرُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلَّمُانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِخَارِقِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضْرُبُهُمْ وَلَا يَنْعَفُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} . البقرة/102.**

قال المازري في "المعلم بفوائد مسلم" (3/158) : "أهل السنة وجمهور العلماء من الأمة على إثبات السحر ، وأن له حقيقة كحقائق غيره من الأشياء الثابتة ، خلافاً لمن أنكره ونفّي حقيقته ، وأضاف ما يتفق منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها .

وقد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز ، وذكر أنه مما يتعلم ، وذكر ما يشير إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق به بين المرء وزوجه ؛ وهذا كله مما لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له وكيف يتعلم ما لا حقيقة له " انتهى .

وقال الخطابي في "أعلام الحديث" (2/1500) : "السحر ثابت ، وحقيقة موجودة ، وقد اتفق أكثر الأمم ؛ من العرب ، والفرس ، والهند ، وبعض الروم ، على إثباته ، وهو لاء من أفضل سكان واسطة الأرض ، وأكثرهم علما وحكمة .

وقد ذكر الله عز وجل أمر السحر في كتابه في قصة سليمان ، وما كان الشياطين يعلمونه من ذلك ، ويعلمون الناس منه ، فقال : **{وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسُ السُّحْرُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ} .**

وأمر بالاستعاذه منه ، فقال : **{وَمِنْ شَرِ النَّفَاثَاتِ فِي الْعَدَ} .**

وورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة رضي الله عنهم ، أخبار كثيرة ، لا ينكرها ، لكنها ، إلا من أنكر العيان ، وجحد الضرورة .

ولذلك فرع الفقهاء في كتبهم من الأحكام في السحرة ، وما يلزمهم من العقوبات فيما يأتونه من أفعالهم ، كما فعلوه في سائر الجنایات التي يقترفها الجنۃ من أهل العبث والفساد .

ولا يبلغ ما لا أصل له ولا حقيقة : هذا المبلغ من الشهرة والاستفاضة .

ففني السحر : جهل .

والاشغال بالرد على من نفاه : لغو ، وفضل !! " انتهى .

وقال ابن قدامة في "المغني" (9/28): "السُّخْرُ: وَهُوَ عَقْدٌ وَرُقْيٌ وَكَلَامٌ يَتَكَلَّمُ بِهِ، أَوْ يَكْتُبُهُ، أَوْ يَعْمَلُ شَيْئًا فِي بَدْنِ الْمَسْخُورِ أَوْ قَلْبِهِ، أَوْ عَقْلِهِ، مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ لَهُ".

وَهُوَ حَقِيقَةٌ، فَمِنْهُ مَا يَقْتَلُ، وَمَا يُمْرِضُ، وَيَاخُذُ الرَّجُلَ عَنِ امْرَأَتِهِ فَيَمْتَعُهُ وَظَاهِرًا، وَمِنْهُ مَا يُفْرُقُ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ، وَمَا يُبَغْضُ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ، أَوْ يُحَبِّبُ بَيْنَ اثْنَيْنِ " انتهى .

ثانيا :

يجب أن يعلم أن الله تعالى لم يسخر الجن ، تسخيرا مطلقا ، لأحد سوى لنبي الله سليمان عليه السلام .

وأما يكون من أمر السحرة : فإنما هو محض استمتاع ، وتعاون ، وتخادم ، بين السحرة وأوليائهم من الجن ، في فعل شيء ما ، حيث يطلب الساحر من الجن أمرا ما ، والجن لا تلبي له طلبه ، إلا بعد أن يعينها على ما تطلب منه ، وكثيرا ما يتوقف إجابتهم له على فعل ما يطلبوه منه من الموبقات ، أو الكفر بالله عز وجل .

قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (19/34): "وَالشَّيْطَانُ هُوَ نَفْسُهُ حَيْثُ، فَإِذَا تَقْرَبَ صَاحِبُ الْغَرَائِمِ وَالْأَقْسَامِ وَكُثِّرَ الرُّوحَانِيَّاتِ السُّحْرِيَّةِ وَأَمْتَالُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ بِمَا يُحِبُّونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرُكِ صَارَ ذَلِكَ كَالرُّشُوةِ وَالْبِرْطِيلِ لَهُمْ فَيَقْضُونَ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ، كَمَنْ يُعْطِي غَيْرَهُ مَالًا لِيَقْتَلَ لَهُ مَنْ يُرِيدُ قَتْلَهُ أَوْ يُعِينَهُ عَلَى فَاحِشَةٍ أَوْ يَنَالَ مَعْهُ فَاحِشَةً".

وَلَهُمَا: كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ يَكْتُبُونَ فِيهَا كَلَامَ اللَّهِ بِالنَّجَاسَةِ - وَقَدْ يَقْلِبُونَ حُرُوفَ كَلَامِ اللَّهِ عَزْ وَجَلْ إِمَّا حُرُوفُ الْفَاتِحَةِ وَإِمَّا حُرُوفُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ). وَأَمَّا غَيْرُهُمَا - إِمَّا دَمٌ وَإِمَّا غَيْرُهُ وَإِمَّا بَعْضِ النَّجَاسَةِ. أَوْ يَكْتُبُونَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَرْضَاهُ الشَّيْطَانُ أَوْ يَتَكَلَّمُونَ بِذَلِكَ.

فَإِذَا قَالُوا أَوْ كَتَبُوا مَا تَرْضَاهُ الشَّيَاطِينُ أَغَانَتْهُمْ عَلَى بَعْضِ أَغْرَاضِهِمْ، إِمَّا تَغْوِيرٌ مَاءِ مِنَ الْمِيَاهِ، وَإِمَّا أَنْ يَحْمِلَ فِي الْهَوَاءِ إِلَى بَعْضِ الْأَمْكَنَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَأْتِيهِ بِمَالٍ مِنْ أَمْوَالِ بَعْضِ النَّاسِ، كَمَا تَسْرُقُهُ الشَّيَاطِينُ مِنْ أَمْوَالِ الْخَائِنِينَ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَأْتِيَ بِهِ وَإِمَّا غَيْرُ ذَلِكَ ". انتهى

ثالثا :

تبين مما سبق أن طاعة الجن لسليمان عليه السلام : كانت طاعة مطلقة ، بتسخير الله لهم لأداء هذه المهمة ، كرامة لنبيه عليه السلام ، ومعجزة له ، وملكًا وسلطانا ، لم يتحقق لأحد ، هكذا على الإطلاق ، من بعده ، عليه السلام .

وقد كان من دعاء الذي استجابه الله له ، وذكره في القرآن : **وَلَقَدْ فَتَّنَ سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُنْسِيهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبُّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَضَفَادِ (38) . ص/34-38.**

والنبي صلى الله عليه وسلم عندما تفلت عليه شيطان في ليلة ليفسد عليه صلاته أمسك به ، وهم أن يربطه في سارية المسجد ، إلا أنه تذكر دعوة سليمان فلم يفعل .

والحديث رواه البخاري في " صحيحه " (461) ، ومسلم (541) ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **إِنَّ عَفْرِينَا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارَحَةَ - أَوْ كَلْمَةً تَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرِبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِّنْ سَوَارِيَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصِبُّحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي، فَرَدَهُ اللَّهُ حَاسِنًا ॥**

قال ابن حجر في "فتح الباري" (459/6): **قَوْلُهُ: "فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ" ، أَيْ قَوْلُهُ: (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) . وَفِي هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ تَرَكَهُ رِغَابَةً لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .**

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ حُصُوصِيَّةُ سُلَيْمَانَ اسْتِخْدَامَ الْجِنِّ فِي جَمِيعِ مَا يُرِيدُهُ، لَا فِي هَذَا الْقَدْرِ فَقَطْ . انتهى .

وأما طاعتهم لإخوانهم من السحرة والكهنة ونحوهم ، فإنما هي طاعة مقيدة ببعض الأمور ، وفق بعض الشروط ، أو المصالح المتبادلة بينهما ، فالإنسني يعني الجن على بعض مقصوده ، ليتحقق له بعض غرضه ومطلوبه .

وقال شيخ الإسلام في "النبوات" (2/841) :

" طاعة الجن لسليمان : طاعة ملكية .

وطاعة الجن والشياطين لسليمان صلوات الله عليه ، لم تكن من جنس معاونتهم للسحرة ، والكهان ، والكافار ، وأهل الضلال والغي .

ولم تكن الآية والمعجزة والكرامة التي أكرمه الله بها ، هي ما كانوا يعتادونه مع الإنس ؛ فإن ذلك إنما كان يكون في أمور معتادة ؛ مثل إخبارهم أحياناً ببعض الغائبات ؛ ومثل إمراضهم ، وقتلهم لبعض الإنس ؛ كما أن الإنس قد يمرض ويقتل غيره .

ثم هم إنما يعاونون الإنس على الإثم والعدوان ، إذا كانت الإنس من أهل الإثم والعدوان ، يفعلون ما يهواه الشياطين ، فتفعل الشياطين بعض ما يهواونه ، قال تعالى: **وَيَوْمَ نَخْرُشُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسَانِ وَقَالَ أُولَئِكُمْ هُمْ مِنَ الْإِنْسَانِ رَبُّنَا اسْتَمْتَعَ بِعَصْنَا بِعَصِّنِي .**

وأما التسخير الذي سخروه لسليمان ، فلم يكن لغيره من الأنبياء ، فضلاً عن من ليسنبي ، وقد سأله رب ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده ،
فقال: **{رَبِّ اغْفِرْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ}.**

قال تعالى: **{فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءَ وَغَوَّاصَ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَحْصَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمْثَنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.**

وقال تعالى: **{وَلِسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَعْوَضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ}.**

وقال تعالى: **{وَلِسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحْهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ يَرْزَعُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذْفَهُ مِنْ عَذَابِ السُّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجَهَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورِ رَأْسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاؤَدَ شَكَرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عَبَادِي الشَّكُورِ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَائِبَةً الْأَرْضِ ثَأَكَلَ مَثَسَّاتَهُ فَلَمَّا حَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ}.**

وكذلك ما ذكره من قول العفريت له: **{أَنَا آتِيَكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقْوَ مِنْ مَقَامِكَ}.**

فهذه الطاعة ، من التسخير بغير اختيارهم في مثل هذه الأعمال الظاهرة العظيمة = ليس مما فعلته بأحد من الإنس ، وكان ذلك بغير أن يفعل شيئاً مما يهونه ؛ من العزائم والأقسام والطلاسم الشركية ؛ كما يزعم الكفار أن سليمان سخروهم بهذا ، فنرّهه الله من ذلك ، بقوله: **{وَاتَّبَعُوا مَا تَثْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سَلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سَلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسُ السُّخْرَ}.** "انتهى" .

رابعاً :

لا يلزم من قدرة الجن على بعض الأمور ، الواقعة في الكون بقدر الله ، أن يكون لهم قدرة مطلقة على تدبير أمر الكون ، وتسخير هذا العالم ، فهذا ما لم يكن لهم قط ، ولا يكون .

وإنما مثل من يسأل هذا السؤال ، أو يورد هذا الإيراد ، كمن يقال له : إن الرجل الفلاني بطل في المصارعة ، صرع فلانا وفلانا ... ، فيسأل : لماذا لم يصرع عامة الناس ، أو لم يقتل البشر ؟

أو يقال : الجيش الفلاني غلب جيشا ، وهزمها هزيمة ساحقة ؛ فيظن من ذلك : أن ذات الجيش قادر على أن يهزم العالم كله ، أو يسير أمر الكون ، ونحو ذلك .

إن الجن إذا كانوا قادرين على بعض التصرفات ، بما أقدرهم الله عليه ؛ لا يلزم منه في شيء أن تكون لهم القدرة على تدبير أمر الكون ، أو حكم العالم ، وتسخير أمر الخلية ؛ فهذا ظن باطل ، وإيراد ساقط من أساسه .

فإن قدرتهم التي أقدّرها الله بها على بعض الأشياء: هي قدرة محدودة في نفسها، ثم هي في أول الأمر وأخره: لا تغير شيئاً في الكون إلا بتقدير الله تعالى له؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقد قال الله تعالى ، في أمر السحره والشياطين : **{فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرْءَ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا إِذْنَ اللَّهِ} .** البقرة/102.

وقال تعالى عن بعض عمل الشيطان الذي يحزن به عباد الله المؤمنين : **{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَسْبِّحُهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} .** المجادلة/10 .

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى أمر يسير، يعجز الشيطان عن أن يخطاه، أو يتصرف في شيء قد فعل عليه؛ وهو ذكر الله عز وجل !!

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في "صحيحة" (3304)، ومسلم في "صحيحة" (2012)، عن جابر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**عَطُوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَغْلَقُوا الْبَابَ، وَأَطْفَلُوا السَّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحْلُ سَقَاءَ، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا كُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَاءِهِ عُودًا، وَيَدْكُرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلَيَفْعَلُ، فَإِنَّ الْفَوَيْسَقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ .**»

قال النووي في "شرح مسلم" (13/185) في شرحه لهذا الحديث : "أمر صلى الله عليه وسلم بهذه الأداب التي هي سبب للسلامة من إيداء الشيطان ، وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسبابا للسلامة من ايذائه ، فلا يقدر على كشف إماء ، ولا حل سقاء ، ولا فتح باب ، ولا ايذاء صبي وغیره إذا وجدت هذه الأسباب ، وهذا كما جاء في الحديث الصحيح : إن العبد إذا سمي عند دخول بيته قال الشيطان لا مبيت أي لا سلطان لنا على المبيت عند هؤلاء ، وكذلك إذا قال الرجل عند جماع أهله اللهم جنبا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا كان سبب سلامه المؤلود من ضر الشيطان ، وكذلك شبه هذا مما هو مشهور في الأحاديث الصحيحة "انتهى .

فتبيين مما سبق أن للسحر حقيقة وتأثير، وأنه لا يحدث منه شيء إلا بإذن الله ، وأن قدرة الجن ليست مطلقة، بل هو أضعف ما يكون إذا ذكر العبد اسم الله تعالى ، وأنه لا سلطان مطلق لأحد من البشر على الجن بعد سليمان عليه السلام .

فإذا كانت تسمية الله عند هذه الأشياء ، تعجز الشيطان عن أن يتصرف فيها ، فكيف يظن به القدرة المطلقة على التحكم في أمر الكون ؟

هذا ما كان لخلق ، ولا يكون أبدا ..

بل الله جل جلاله : هو الخافض الرافع ، القاپض الباسط ، المعز المذل ، المحیي الممیت ، یدبر الأمر کله سبحانه ، وجل شأنه ، ما شاء کان ، وما لم یشأ لم یکن .

والله أعلم .